ألف حكاية وحكاية (١)

كيس الخصام

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
- الفجالة - القاهرة

كيس الخصام

كان « هرقلُ » ، البطلُ القويُّ في الحكاياتِ اليونانيةِ القديمةِ ، يسيرُ ذاتَ يومٍ في طريقٍ ملآنَ بالأحجارِ والصخورِ . فرأى على الأرضِ شيئًا يشبهُ التفاحةَ .

استصغرَ هرقلُ شأنَ ذلكَ الذي رآهُ . فداسَ عليه بقدمه .

وتعجَّبَ هرقل ، لأن ذلكَ الشيء ، بدل أن يتحطَّمَ أو يصغُر نتيجةَ الضغطِ عليهِ ، انتفخَ وزادَ حجمُه وتضاعفَ .

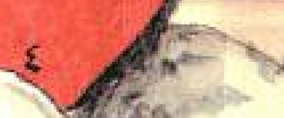
وزادت دهشة هرقلَ ، فرفعَ عصاه الغليظةَ ، وانهالَ عليه ضربا .

ولكنَّ الشيءَ الذي يشبهُ التفاحةَ ، ظلَّ ينتفخُ حتى سدَّ الطريقَ كلَّه .

ولم يستطعْ هرقلُ أن يواصلَ سيرَه ، فرمَى عصاه ، ووقفَ ينظرُ في دهشةٍ !!

عندئذٍ ظهرَ شيخٌ حكيمٌ وقالَ :

" يا صديقي ، اتركْ هذا الشيء ، ولا تقتربْ منهُ . إنَّهُ كيسُ الخصامِ . إذا تجنَّبْتَه ، ظلَّ كما هو صغيرَ الحجمِ . أمَّا إذا لجأتَ إلى التحدِّي والغضبِ والعنفِ ، انتفخ كما ترى ، وحاصركَ من كلِّ جانبٍ ، ومنعكَ من الاستمرارِ في الطريقِ الذي تختارُهُ لنفسِكَ .





إنهم أجبنُ منَّا !!

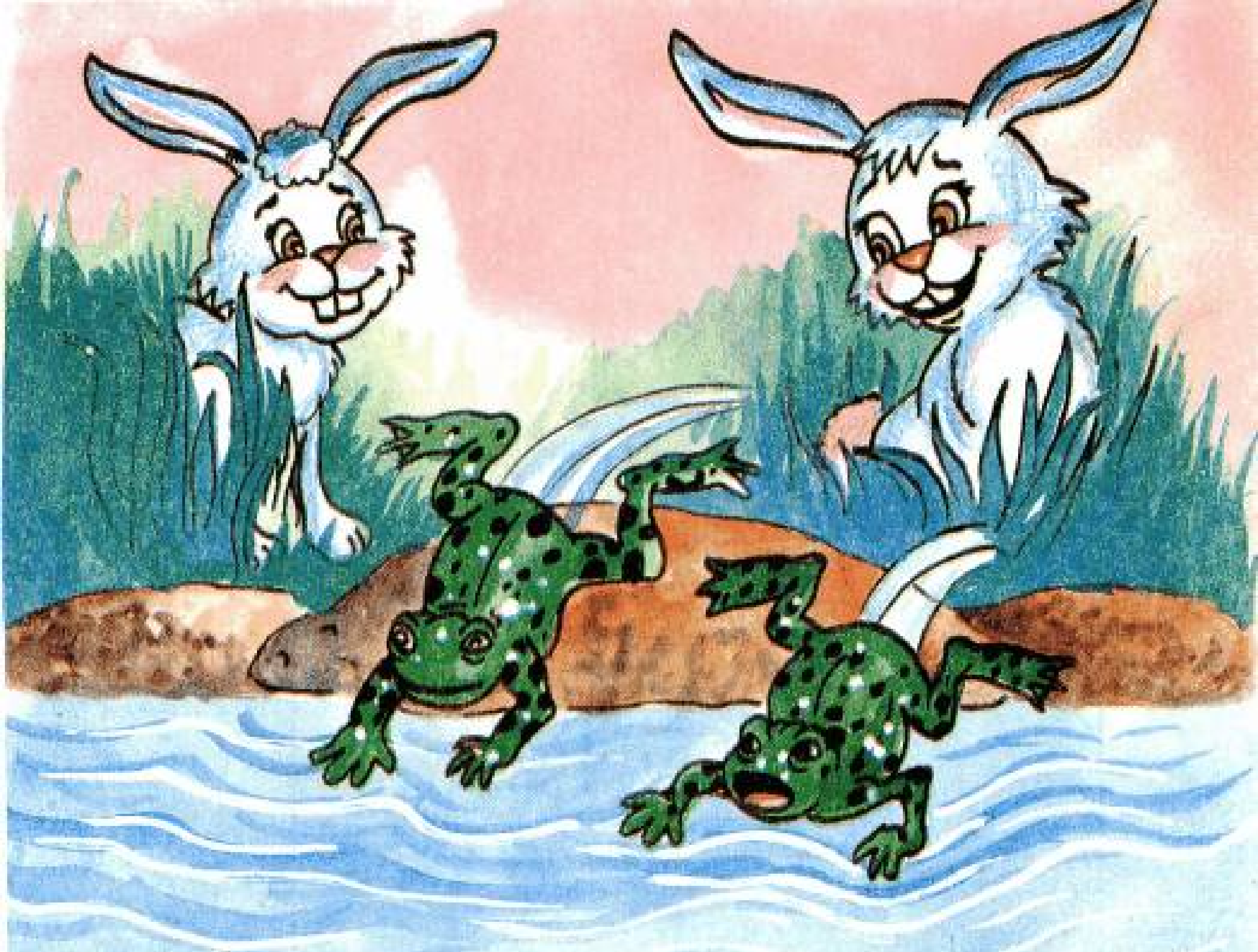
ذاتَ يومٍ ، عقدتِ الأرانبُ البرِّيَّةُ اجتماعا ، لبحثِ أحوالِها .

ودارَ نقاشٌ طويلٌ ، أجمعَ الحاضرون بعدَه على أنهم تعساءُ ضعفاءُ ، فالأخطارُ تُحيط بهم من كلِّ جانبٍ ، وليسَتْ عندهم قوةٌ ولا شجاعةٌ للدفاعِ عن أنفسهم .

ووقفَ زعيمُ الأرانبِ يقولُ : " كلُّ مَنْ حولَنا أعداءٌ لنا ، وكلُّهم مستعدونَ للقضاءِ علينا ، ليجعلوا مِنَّا طعامًا لهم ، يستوى فى ذلكَ الإنسانُ والوحوشُ والطيورُ الجارحةُ » .

وأخيرًا اتَّفقَتِ الأرانبُ على أنَّها لن تستطيعَ مواصلةَ الحياةِ فى ظلِّ هذهِ الأخطارِ والأعداءِ ، وقرَّرتْ أن تتَّجهَ إلى بركةِ الماءِ المجاورةِ ، وتختفِىَ تحتَ مائِها إلى الأبدِ .





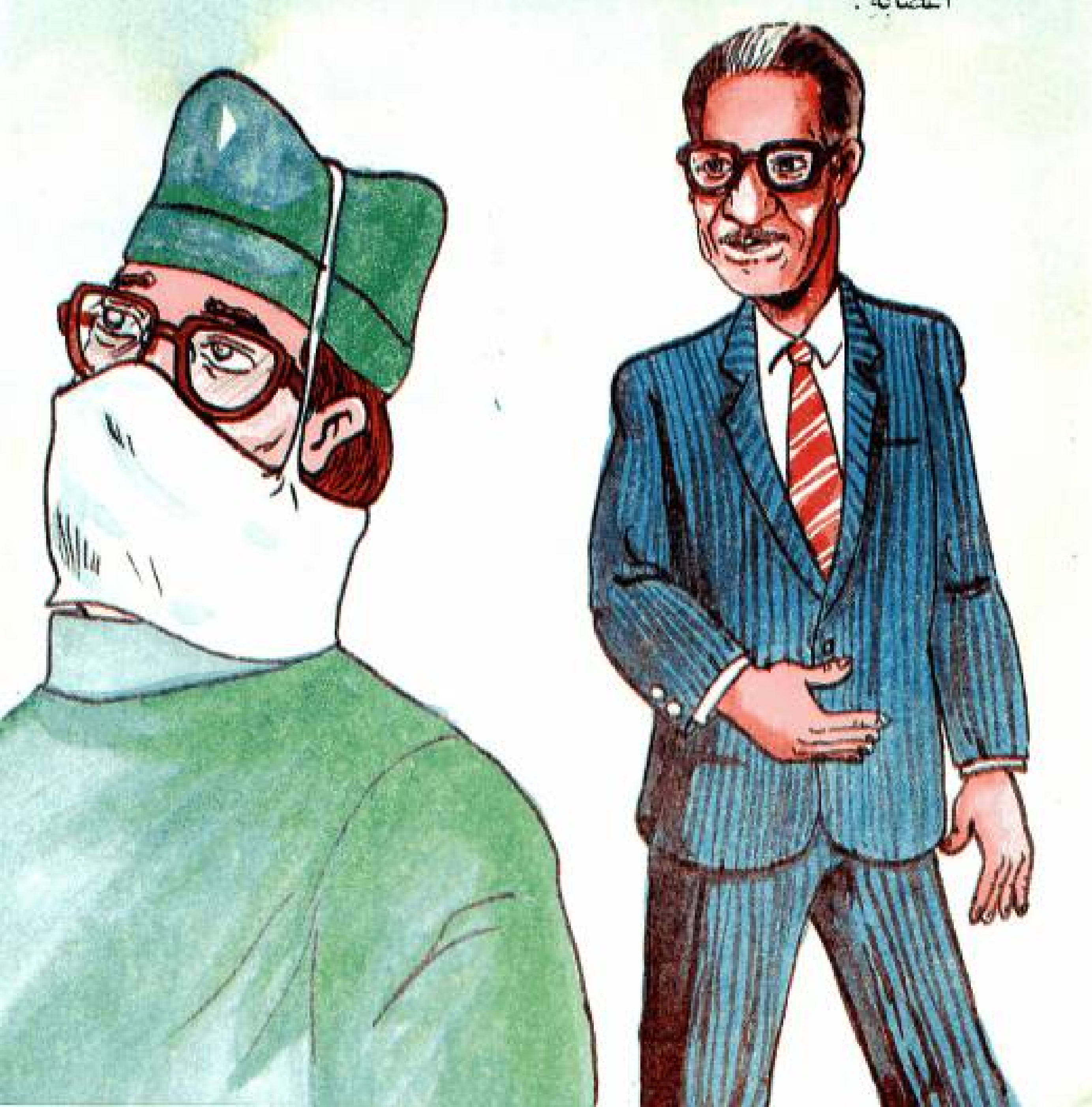
وصلَتِ الأرانبُ إلى حافَةِ البركةِ ، وهي تُحْدِثُ ضوضاءَ عاليةً شديدةً .

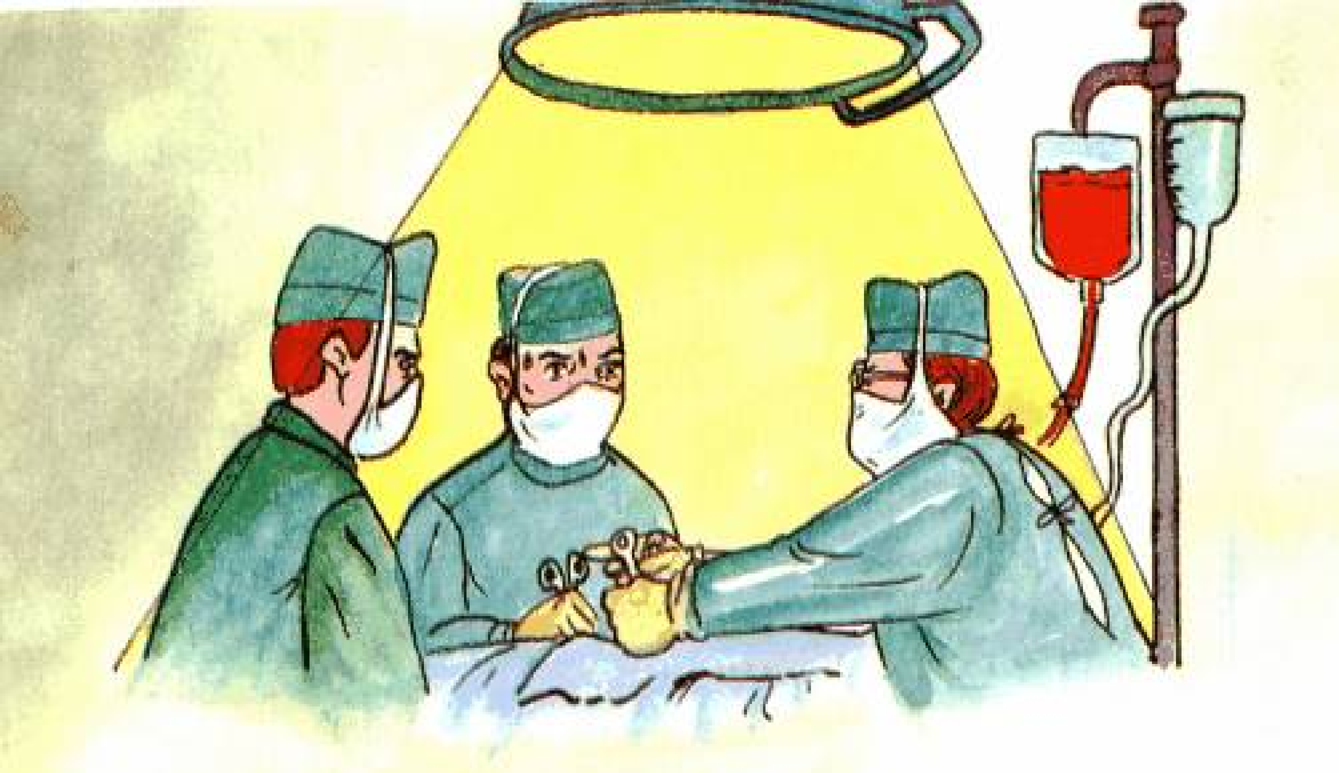
وكانَتِ البركةُ مملوءةً بالضَّفادعِ . وما إنْ سمعَتِ الضفادعُ تلكَ الضوضاءَ ، حتى خافَتْ وأسرعَتْ تختفي كلُّها بعيدًا تحتَ سطحِ الماءِ .

هنا صاحَ زعيمُ الأرانبِ : " لنتوقفْ أيُّها الأصدقاءُ .. فهنا مخلوقاتٌ خافَتْ مِنَّا وأسرعَتْ تهرُبُ عندما شاهَدتْنا . إنَّها أجبنُ منَّا . وكما نخافُ من غيرنا ، فهناكَ من يخافُ منَّا . يجبُ أن نكونَ أكثرَ شجاعةً في مواجهةِ الحياةِ ، فليسَتْ هناكَ حياةٌ سهلةٌ لأيِّ مخلوقٍ ، وعلينا أن نقبلَ حياتَنا بما فيها من خيرٍ وشرٍّ " .

لا أدرى متى تنتهى مهارتى

ذاتَ يومٍ ، دعانى جرّاحٌ معروفٌ ، لأشاهدَ جراحةً خطيرةً كان سيقومُ بها . وقبلَ أن يدخلَ غرفةَ العملياتِ ، أخذَ يستعدُّ للجراحةِ بغسلِ يديه وتطهيرِهما ، وارتداء غطاء الرأسِ والمعطفِ والقفّازاتِ المصنوعةِ من المطّاطِ . وظهرَ عليه أنّهُ واثقٌ بنفسِه ، لكنّنى كنتُ أحسُّ بتوتّرِ أعصابِه .





سألته : " هل كلُّ شيءٍ جاهزٌ ؟ "

فأجابَ : " تقريبًا " .

ثم سكتَ ، وأحنى رأسَهُ لحظةً ، ثم رفعَ عينيه إلى السماءِ .

وبعدَها سارَ بهدوءٍ وثقةٍ إلى غرفةِ العملياتِ .

قلتُ له بعدَ فراغِهِ من العمليَّةِ : " لقد أعجبْتنى حين رأيتُكَ تدعو اللهَ قبلَ دخولِكَ إلى غرفةِ الجراحةِ " .

فأجابَ : « ليسَ الجرَّاحُ إلا بَشرًا ، قُدْرتُه محدودةٌ ، ولا يستطيعُ أن يصنعَ العجائبَ وحدَهُ . إنَّ هنالكَ قوَّةً أكبرَ منَّا ، تعيننا وتلهمُنا . وإلاَّ لم يكُنْ فى استطاعةِ الإنسانِ أن يصلَ إلى ما وصلَ إليه من تقدُّمٍ وعلْمٍ . إنَّنى أُحسُّ دائمًا ، وأنا أقومُ بالعملياتِ الجراحيةِ ، أنِّى أقربُ إلى اللهِ ، فلا أدرى متى تنتهى مهارتى ، ومتى تبدأ معونتُه سبحانَهُ وتعالى " .

هذا يتوقّفُ عليك

فى أحدِ مناطقِ أمريكا ، عاشت قبيلةٌ مشهورةٌ من قبائلِ الهنودِ الحمرِ ، وكانَ سببُ شُهرتها ، ما يتمتّعُ به رئيسُها من حكمةٍ وذكاءٍ.

وكانَ مسموحًا لأىِّ فردٍ من أفرادِ القبيلةِ أن يصبحَ هو الرئيسَ ، إذا أثبتَ أنّه أكثر من رئيسِ القبيلةِ ذكاءً.

وحدثَ ذاتَ يومٍ أنَّ أحدَ شبابِ القبيلةِ الأقوياءِ ، أرادَ أن ينافسَ رئيسَهُ فى مجال الذَّكاء ، ففكّرَ فى أنْ يذهبَ إليه وهو يُخفِى عصفورًا فى قبضة يده ، لا يظهرُ منه إلا منقاره ، ويطلبَ من الرئيسِ أن يخبره بما يوجَدُ فى كفّه . فإذا قالَ له إنّه عصفورٌ ، يسأله : هل هو حىٌّ



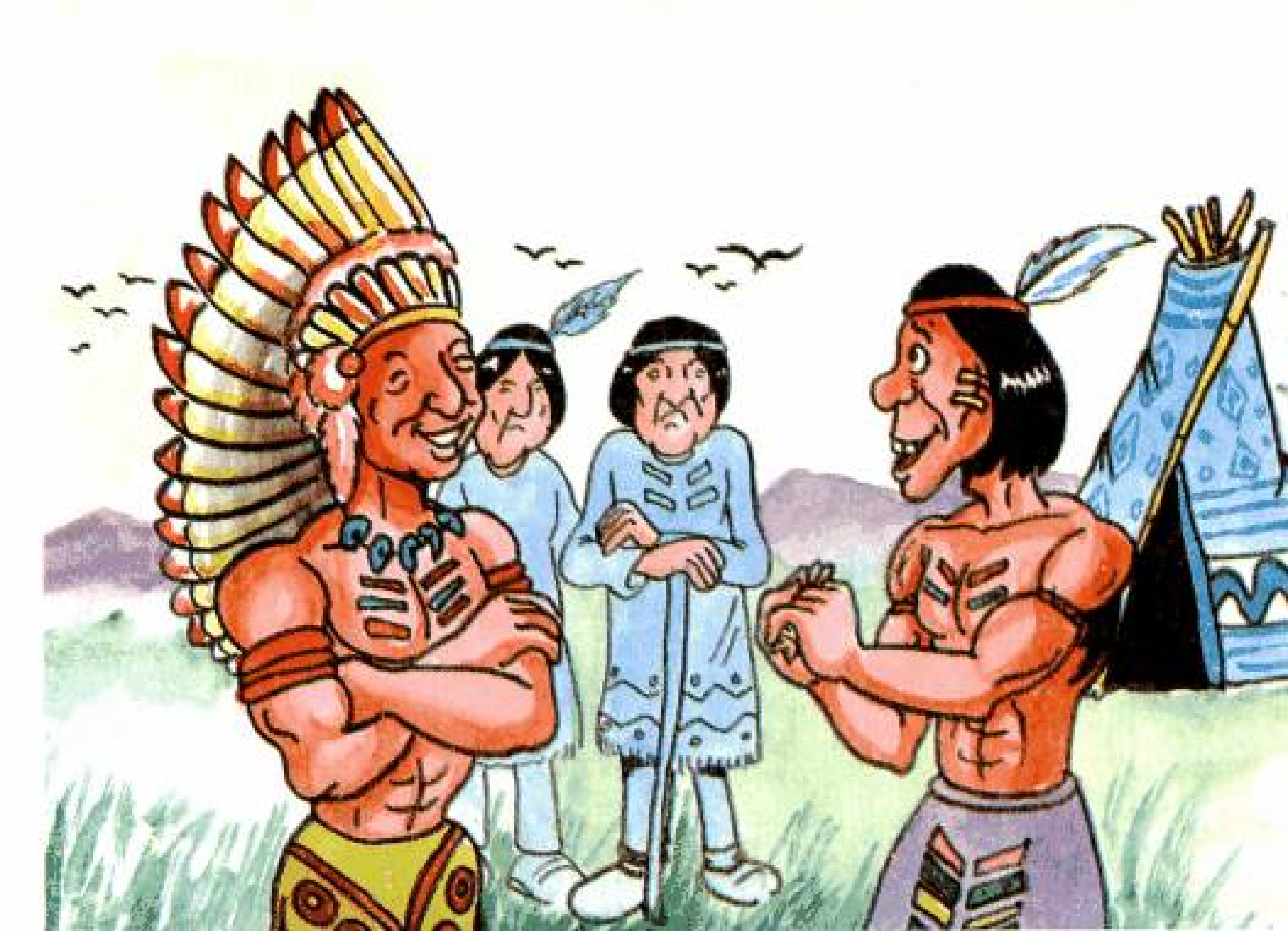
أم ميتٌ ؟ فإذا قال : إنه ميّت ، يُطلقُه من يدِهِ ليطيرَ ، فيظهرَ أنه حيٌّ . وإذا قالَ إنه حيٌّ يضغطُ عليه فى قبضتِهِ ليموتَ ، وبذلكَ يفوزُ فى مباراةِ الذكاءِ ، ويصبحُ رئيسا .

فلما اجتمعَ حكماءُ القبيلةِ حول الرئيس ومنافسِهِ ، أبرزَ المنافسُ منقارَ العصفورِ من قبضتِهِ ، وسألَ الرئيسَ : " ما هذا ؟ "

فأجابَ الرئيسُ : " عصفورٌ " .

فسألَه : " هل هو حيٌّ أم ميّتٌ ؟ "

هنا توقَّفَ الرئيسُ قليلاً ، فقد كانَ أذكى من أن يقعَ فى هذا الفخِّ ، وأجابَ : " هذا يتوقَّفُ عليكَ : إن أردْتَه حيًّا ، فسيظلُّ حيًّا .. وإن أردْتَه ميتًا ، قَتَلْتَهْ !! " .



مبــــاراة

يحكى أنّه كان يوجدُ خروفٌ صغير مزعج ، له قرنان صغيران .
ولم يكن لديه ما يشغله ، فكان يقضي وقته في مضايقةِ الآخرين .

ذات مرة قال الخروفُ للديك الروميّ :

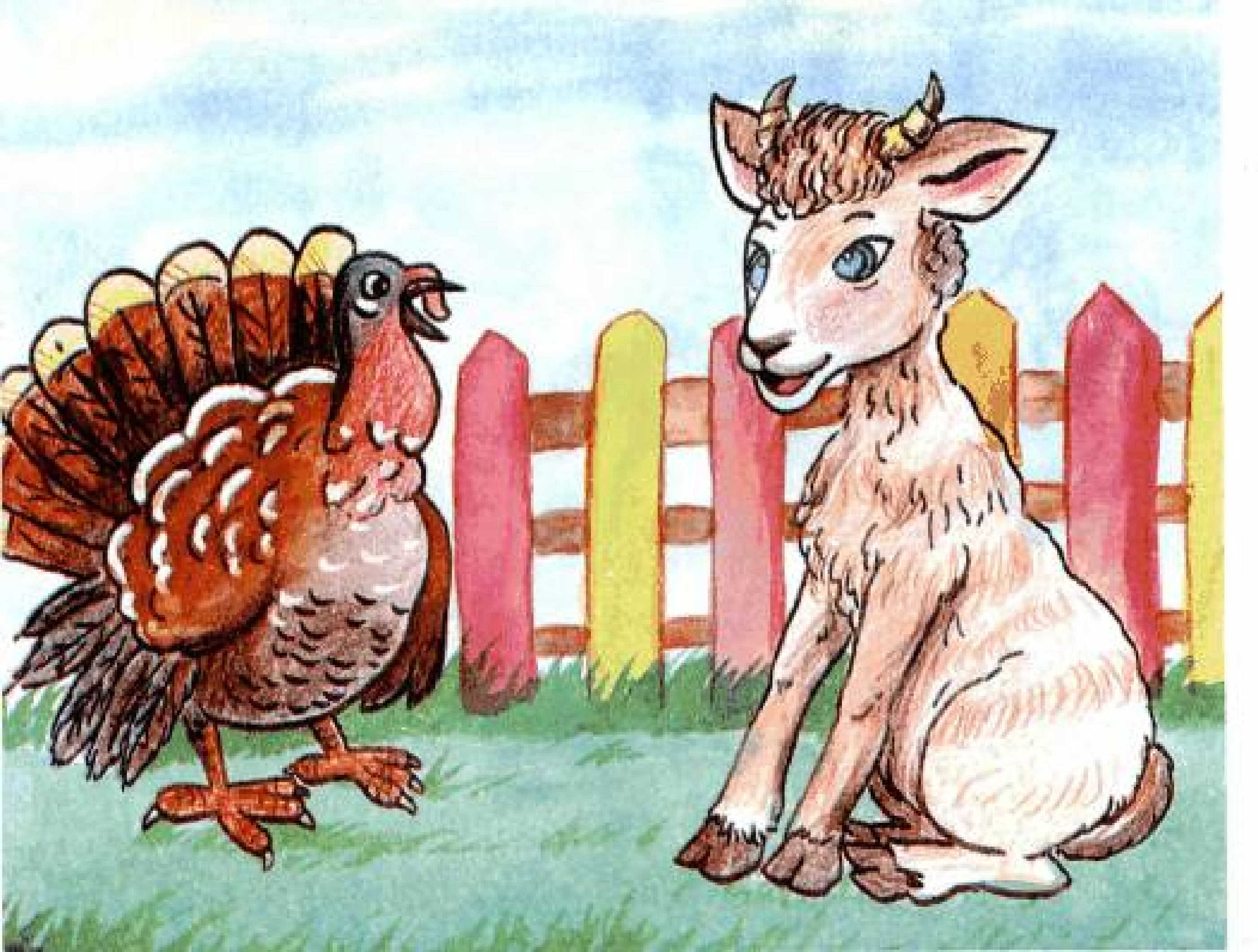
" أنا أحب التّناطُح .. هيا نقُم مباراةً في النّطح " .

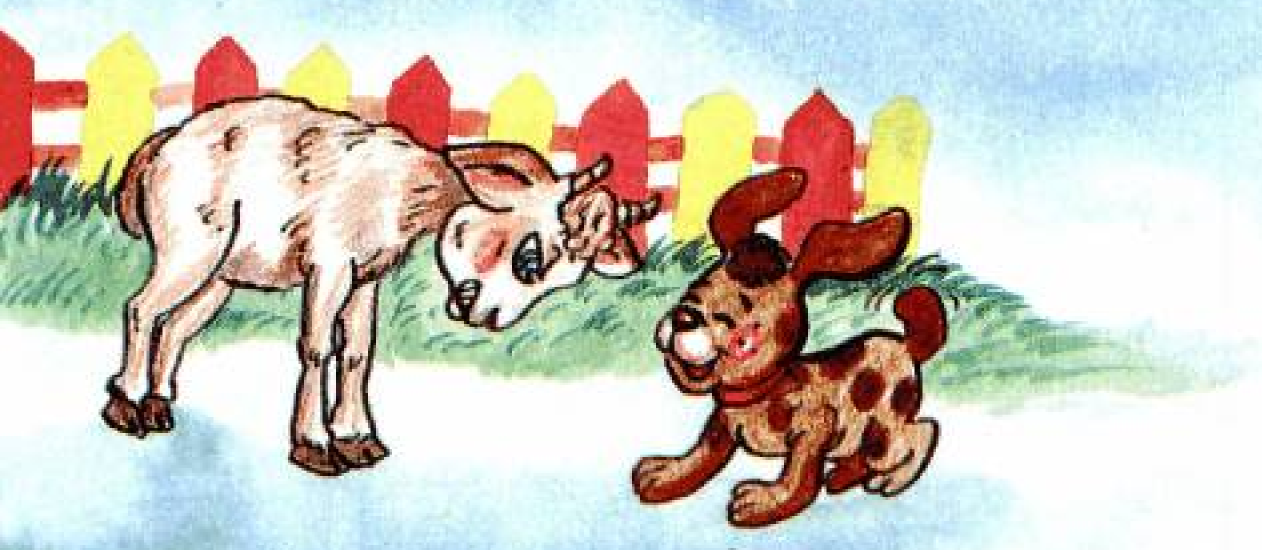
أجابه الديك الرومىُّ وهو يبتعد عن طريقه في كبرياء :

" ابتعدْ عنّي " .

فتحوَّلَ الخروف إلى العجل الصغير وقال له :

" عندي اقتراحٌ لطيف .. هيا نتناطح " .





قـال العجـل وهـو يتنـاول ورقـةً خضراء بفمه من علـى الأرض :

" لا تُزْعِجْنى " .

أخيرًا شاهد الخروفُ الصغير كلبًا صغيرا ، فجرى نحوه وهو يقول :

" هيا نتناطح " .

قال الكلب الصغير فى حماس وسعادة : " هيا " .

وانقض الكلب ، وعضَّ الخروفَ عضَّة مؤلمة فى ساقه .

صاح الخروف متألمًا : انتظرْ لحظة : " أنا أقول النَّطْح ، فما هـذا الذى تفعله ؟ "

قال الكلب وهو يعَضُّ الخروفَ عضَّة مؤلمة ثانيةً : " إذا كنت تريدُ القتال ، فليس من حقك اختيار السِّلاح !! "



شجـــرة ورد

خلف بيتنا فى القرية ، توجدُ حديقةٌ صغيرة ، يُشْرِفُ عليها فلاحٌ يعمل فى نفس الوقت خفيرًا يحرسُ البيت أثناءَ غيبتِنا عنه . وكانت هناك شجرةُ وردٍ فى حديقتنا ، أحبَّها ذلك الفلاح أكثرَ من أى نبات سبق أن زرعه . كانت ورودُها رائعةَ الجمال عطِرَةَ الرائحة .

ذهبْتُ ذات يومٍ لرؤية شجرةِ الوردِ مع صديقٍ لى وزوجته ،

فقال الصديق :

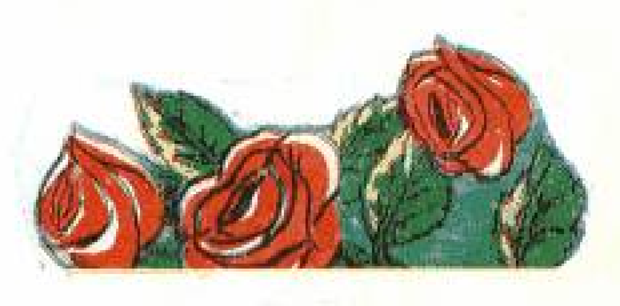
" شكلُ الوردِ عادىٌّ ، لكنَّ رائحتَه متميزة " .

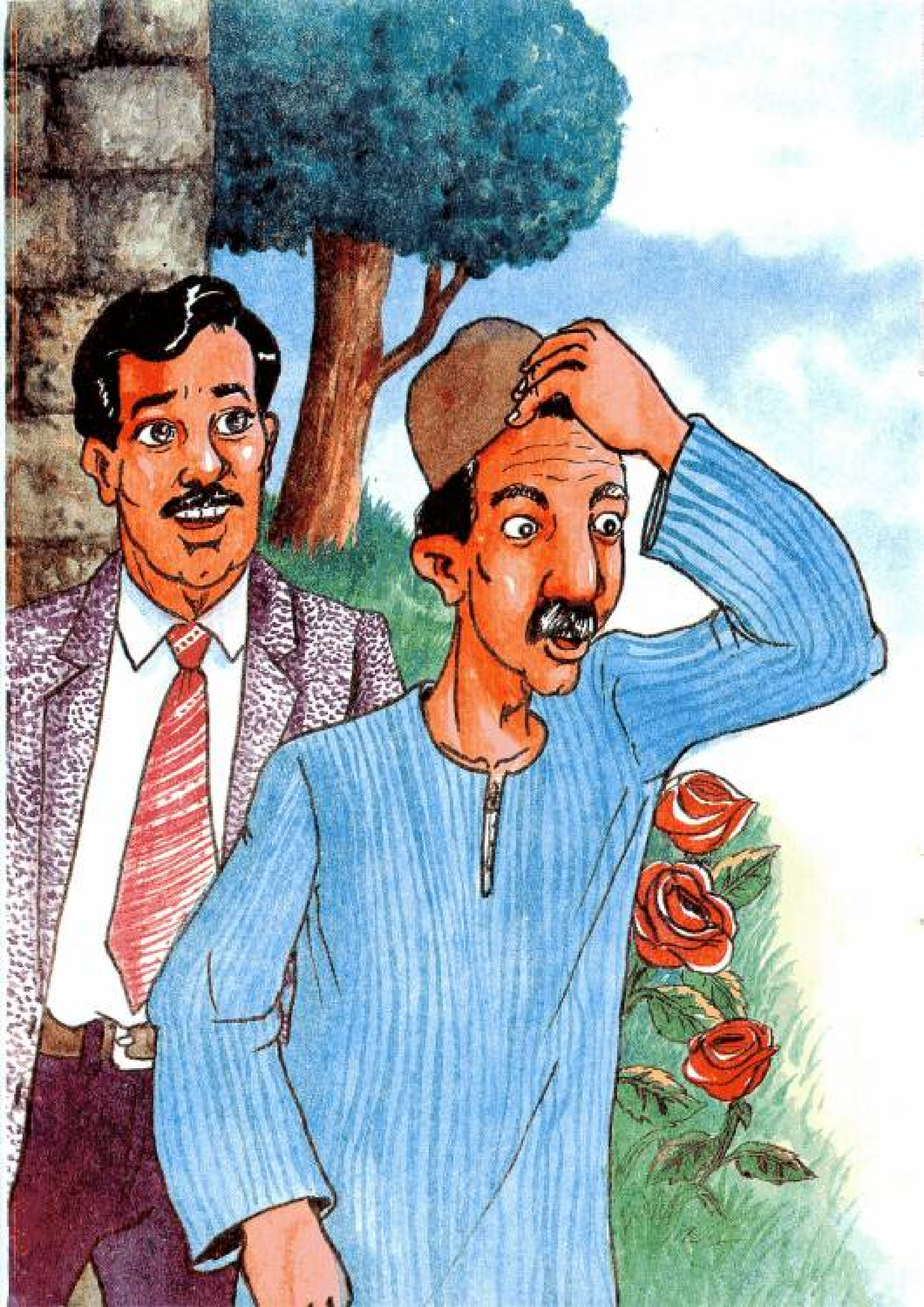
أمَا الزوجة فقالت :

" على العكس يا عزيزى .. إن الرائحـةَ هـى العاديَّـةُ ، أمـا الشكل فممتازٌ وغير مألوف " .

وظهرَتِ الدهشةُ على وجهى وعلى وجه الفلاحِ بسبب هذه الآراء المتعارضةِ ، لكن سرعان ما تبيَّنَّا أنَّ صديقـى قـد نسـى نظارتـه ، وأن زوجته مصابةٌ بزكامٍ حادٍّ .

قلتُ لنفسى : " لهذا لا يتَّفِقُ الناس على ما يُعتبرُ جميلاً فى هـذه الحياة ، فمنهم من لا يرى ، ومنهم من لا يشَمُّ !! »







الثَّعْلَـــبُ وعصفورُ الحَصادِ

ظلَّ عصفورُ الحصادِ يغرّدُ ألحانَهُ طوالَ المساءِ ، وهو واقفٌ فوقَ غصنِ شجرةٍ . ومرَّ ثعلبٌ ، فرفعَ رأسَهُ ، وقالَ :

" يا لَهُ من تغريدٍ رائعٍ ! إنَّ صاحبَ هذا الصوتِ البديعِ ، لا بدَّ أن يكونَ رائعَ الجمالِ . انزلْ قريبًا منّي يا عصفورَ الحصادِ : حتّى أستطيعَ أن أصفَ للآخرينَ جمالَ شكلِكَ ، وأتحدثَ عن روعةِ تغريدِكَ " .

وفي الوقتِ نفسهِ كانَ الثعلبُ يهمسُ إلى نفسهِ :

" هذا عصفورُ حصادٍ سمينٌ ، أختتمُ بهِ غدائي " .

ولمّا كانَ عصفورُ الحصادِ قد شاهدَ الثعالبَ من قبلُ ، فإنه بدلَ أن ينزلَ ، انتزعَ ورقةَ شجرةٍ سمراءَ ، وأرسلها طائرةً إلى الأرضِ .

وإذ بالثعلبِ يسرعُ فينقضُّ عليها في هجمةٍ سريعةٍ ، وقد اشتدَّ بهِ الجوعُ والطمعُ ، وقد ظنَّها العصفورَ نفسَهُ .

وفي سعادةٍ قالَ العصفورُ :

" لقد فضحتَ نفسَكَ أيها الثعلبُ ، فذاتَ مرةٍ ، رأيتُ ريشَ عددٍ كبيرٍ من عصافيرِ الحصادِ خارجَ جُحرِكَ ، ومنذُ ذلكَ اليومِ وأنا لا أطمئنُّ إليكَ . والآنَ أصبحتُ واثقًا بصحةِ ظنوني . لهذا أقولُ لكَ :

إنكَ تستطيعُ أن تقولَ ما تشاءُ عن جمالِ صوتي ، لكنني لستُ في حاجةٍ إلى الاقترابِ منكَ ، حتى لو كانَ ذلكَ لتكتبَ القصائدَ والأغاني في مدحِ جمالِ ريشي وحلاوةِ شكلي " .



المسئول والمسئولية

دخل الصبيُّ الصغيرُ مكتب مدير المحلِّ التجاريِّ ، وسألهُ : « هل أجدُ عملاً عندكم ؟ »

نظر المديرُ إلى الصبيِّ ، وقالَ : « هل تستطيعُ أن تتحمَّلَ المسئوليةَ ؟ »

وفي ثقةٍ أجاب الصبيُّ : « طبعًا .. إنهم يقولون لي كلما حدث شيءٌ : أنت المسئولُ ! »

بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها ، من الأدب الشعبي ، والعربي القديم ، والعالمي .